JUNE 2019
Vol 1 Issue 2

Economic crises and their negative effects on social life in the Levant from the sixth century to the end of the eighth migration/ eleventh century until the end of the fourteenth AD

Assistant Qays Fathi Ahmad

qayes@gmail.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000-0003-4452-9929, DOI, PP 44-60.

Abstract: The Levant has been subjected to many economic crises that have had a great impact on the whole of people's lives, those crises that were talked about by the history books gave an accurate description of what suffered and suffered from it by different segments of society, and the great revenge it left on society from the destruction and destruction of that society, and it touched on Research into the causes of those economic needs and their negative effects, which were due to natural factors such as drought, drought and floods, or that accompanied the spread of epidemics and various diseases, or the economic imperatives that the human factor caused to highlight and reflected on people's lives by oppression Injustice and the din of living, such as political chaos, wars, conflicts and other causes that have affected people, especially the poor, have been the most severely affected by the hunger, displacement and death of many of them. This research tried to shed light on the results of these crises and show the great impact it has had on people's lives in various aspects of their lives, using the information provided by historical sources about these crises and their various effects on society in the Levant.

Keywords: Crises, Life, Social, Century, Sixth, Eighth.

الأزمات الاقتصادية واثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام من القرن السادس حتى نهاية الثامن للهجرة/ القرن الحادي عشر حتى نهاية الرابع عشر للميلاد.

ملخص الدراسة: تعرضت بلاد الشام إلى العديد من الأزمات الاقتصادية التي كان لها الاثر السلبي الكبير على مجمل حياة الناس ، وقد اوردة المصادر التاريخية وصفاً دقيقاً لما عانت وقاست منه مختلف شرائح المجتمع في بلاد الشام ، وما تركته من اثأر سلبية بالغة ، وقد تطرق البحث الى اسباب تلك اللازمات الاقتصادية واثارها السلبية سوء ما كان منها يعود الى العوامل طبيعية كالجفاف والقحط والسيول وغيرها وما رافقها من انتشار للأوبئة والأمراض المختلفة ، أو تلك اللازمات الاقتصادية التي كان العامل البشري سبباً في ظهورها وانعكست سلبياتها على حياة الناس بالقهر والظلم وضنك العيش ، وتمثلت تلك الفوضى السياسية بقيام الحروب والنزاعات إلى غير ذلك من الأسباب التي نالت من الناس ولاسيما الفقراء منهم أشد النيل من جوع وتشريد ووفاة للكثير منهم. ومن الملاحظ ان تلك اللازمات الاقتصادية قد تكررت في بلاد الشام، فحاولت من خلال هذا البحث تسليط الضوء على نتائج تلك الازمات وتبيان الاثر السلبي الذي تركته على حياة الناس في مختلف جوانب معاشهم مستعيناً بما وفرته المصادر التاريخية من معلومات عن تلك الازمات واثارها المختلفة على المجتمع في بلاد الشام.

الكلمات المفتاحية: الازمات، الحياة ،الاجتماعية ،القرن ، السادس،الثامن .

مقدمة الدراسة:

شكلت الازمات الاقتصادية وما افرزته من السلبيات تحدياً كبيراً على بنية المجتمع في بلاد الشام فهدفت دراسة هذا البحث الى توضح أثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام وتبيان أسباب اختلال أسعار المواد والسلع وأثرها السلبي على الناس، وبخاصة اذا ما لوحظ تكرار تلك الأزمات الاقتصادية في مختلف مدن بلاد الشام ، وما نتج عنها من مؤثرات سلبية على الحياة الاجتماعية في تلك الفترة ولقد لحظ الباحث أن معظم المصادر التاريخية ركزت أخبارها عما حل في مدينة دمشق وحلب وبعض المدن الاخرى، بينما غفلت مدن شامية الأخرى، وتعود أسباب ذلك الى توفر المادة التاريخية عن هذه المدن بخلاف غيرها ،وقد تناول البحث اسباب الأزمات الاقتصادية وأثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام على النحو الآتي :

اولاً: العوامل الطبيعية واثرها في ظهور الأزمات الاقتصادية وأثارها السلبية على الحياة الاجتماعية .

كانت للعوامل الطبيعية الأثر الكبير في ظهور الأزمات الاقتصادية في بلاد الشام والتي انعكست على مجمل الحياة الاجتماعية بأثارها السلبية على حياة الناس ويمكن تقسيم مؤثرات العوامل الطبيعية على النحو الآتي :

- انتشار القحط والجفاف بسبب قلت تساقط الامطار:

اعتمدت بلاد الشام على الأمطار في زراعة الكثير من المحاصيل ، لذا تأثرت هذه المحاصيل بانحباس الأمطار أو قلته الذي كان له أثر بالغ في جفاف الأرض لقلة الماء ، ومن ثم انعدام الزرع او قلته بشكل كبير وهذا بدوره كان عاملاً مهماً في قلة المحاصيل والغلال الزراعية ونتج عن ذلك ارتفاع كبير في أسعار المنتجات الزراعية في بلاد الشام ، فعجز عامة الناس لاسيما الفقراء منهم عن شراء في السنوات التي تعرضت للجفاف.

فقد تعرضت مدينة حلب سنة (518هـ/1124م) الى غلاء شديد بسبب انقطاع نزول المطر في شهري كانون الاول والثاني وستمر حتى منتصف شهر شباط [1] ما كان له اثره السلبي على الناس لقت المحاصيل .

وكان الغلاء في أكثر بلاد الشام سنة (543هـ/1148م) ، بسبب قلة تساقط الامطار مما تسبب في ارتفاع الاسعار واشتداد الغلاء لانعدام الغلال في الاسواق فلم تجد الناس ما تشتريه [2] كما تعرضت بلاد الشام سنة(574هـ /1178م) الى غلاء عام وتبعه وباء شديد [3]فيذكر ابن الاثير (ت 630هـ/1232م) " انقطعت الأمطار في سائر بلاد الشام وغيرها من البلدان، فاشتد الغلاء بسبب ذلك فبيعت غرارة [4]الحنطة بدمشق بعشرين دينارا ، وكان الشعير كل ثلاثة مكاكيك

[1] ابن العديم ،كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي (ت 660هـ/1261م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط1 ، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1417هـ/1996م)، ص 288.

[2] ابن الأثير ،أبو الحسن عز الدين علي بن محمد (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ ، ط2 ، تحقيق : عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ،(بيروت : 1415هـ)، 9/ 165.

[3] أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية، ط1 ، (القاهرة : د.ت) ، 3/ 61.

[4] الغرارة نوع من المكاييل تساوي (12) كيلاً كل كيل يساوي (6) امداد وهي تساوي مكوكان ونصف وما بين ذلك . ينظر : العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هـ /1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، ط1 ، دار الكتب العالمية ، (بيروت : 2010م)، 3/278.

[5]بدينار، وتعذرت الأقوات وجاع الناس ، ثم تبعه بعد ذلك وباء شديد عام أيضا، كثر فيه الموت، وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الناس في أشد ما كانوا غلاء وقنوطا من الأمطار، وقد توسط الربيع ولم تجئ قطرة واحدة من المطر، فبينا أنا جالس ومعي جماعة، إذ أقبل إنسان تركماني قد أثر عليه الجوع، وكأنه قد أخرج من قبر، فبكى وشكا الجوع، فأرسلت من يشتري له خبزا، فتأخر إحضاره لعدمه، وهو يبكي ويتمرغ على الأرض ويشكو الجوع، فلم يبق فينا إلا من بكى رحمة له وللناس "[6]

وقد وصف لأصبهاني (ت597هـ/ 1200م) تلك المحنة فقال: " واصبح العام مجدبا في بلاد الشام لروائح الجوانح شآما وللأسعار أسعار وللأسرار استشعار وللأقوات أقواء وللغلات غلاء وللبلاد بلاء وللسوء استواء وللضراء استضراء وللشر استشراء وعلى العباد من ثقل المحل أعباء وللرجال من لطف الله رجاء وإلى عطفه التجاء ومن العيون بالدموع استسقاء وللأيدي بالخشوع في رفعها إلى الله استعداء واستدعاء " [7]

وفي سنة (623هـ/1226م) كان غلاء شديد ببلاد الشام بسبب قلة الأمطار ، ثم ظهر المرض الذي بسببه مات الكثير من الناس [8] وكانت كمية الامطار التي سقطت قليلة في بلاد الشام سنة (628هـ/1230) ، ولا سيما في مدينة حلب وأعمالها التي عدمت فيها الامطار بالمرة، لذا غلت الأسعار وكان أشدها غلاء حلب ،فعانا الناس من ذلك الشيء الكثير[9] وفي سنة (643هـ/1245م) كان الغلاء كبير بدمشق، حتى بيعت الغرارة بألف وستمائة درهم، وأكل الناس الجيف بسبب الجوع، وتوفي كثير من الناس بسبب ذلك[10]

ونتشر في سنة (656هـ/1258م) الغلاء بسائر بلاد الشام نتيجة قلت الامطار فقلت المحصول الزراعية وارتفعت بسبب ذلك الأسعار بدمشق وحلب وأبيع المكوك القمح بحلب بمائة درهم والشجر بستين درهما والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما وبقية الأسعار، وبلغ الرطل[11] التمر هندي ستين درهما، وانتشار الوباء فكان يموت من أهل حلب ودمشق العديد من الناس بسبب ذلك [12]

وكان الغلاء في سنة (659هـ/1260م) في سائر بلاد الشام ، واشده كان في مدينة حماة و حلب حيث بلغ سعر الخبز الرطل خمس الدراهم، حتى ان الصعاليك لشدة المحنة لم يجدو ما يأكلونه او يصادروه وبلغ بهم الحال

---

[5][]المكوك : كلمة مفردة جمعه مكاكيك وهو مكيال للحبوب مقداره صاع ونصف، والصاع قدر نصف ويبة، والويبة ثلاث كيلات وتساوي(3,06) كغم. ينظر: العمري ، مسالك الأبصار ، 279/3. محمد , علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية , ط2 , القدس للإعلان والنشر والتسويق , (القاهرة : 1421هـ /2001م)، ص44.

[6][] ابن الاثير، الكامل في التاريخ 9/ 436.

[7][]الأصبهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد ، (ت597هـ/1200م)، البرق الشامي، تحقيق: د. فالح حسين، ط1 ، مؤسسة عبد الحميد شومان ،(الأردن:1987م)،3/ 145.

[8][] ابن كثير ،أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، (بيروت: 1408هـ/ 1988م)،13/ 394.

[9][] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 10/ 452. الغزي ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت 1351هـ/1932م)، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط2 ، دار العالم، (حلب : 1419هـ)، 3/ 99. ابن الكثير، البداية والنهاية ،13/ 150.

[10][] ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد (1089هـ /1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبدالقادر الأرناووط و محمود الأرناووط ، ط1 ، دار ابن كثير ، (بيروت : 1992م)،7/ 376.

[11][] الرطل يقدر بـ(12) أوقية ، والوقية مقدارها ما بين (119 غراماً حتى 127 غراماً) ولما كانت الأوقية خمسين درهماً فيكون الرطل ستمئة درهم. ينظر : العمري، المسالك ، 278/3. محمد، علي، المكاييل والموازين ، ص21.

[12][] المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، ط 1، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1997م)،1/ 499.

ان يطلبوا الصدقة للعيش [13] ومما زاد في محنة الغلاء ظهور الفأر في أرض حوران حتى أكل معظم الغلال فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح ، مما سبب زيادة الغلاء بدمشق ونتشار المجاعة[14]

واصاب بلاد الشام سنة (662هـ/1263م) غلاء بسبب القحط وقلت الامطار وارتفاع كبير في الاسعار وشمل ذلك جميع الأصناف السلع ، فأبيع رطل اللحم بدمشق بستة دراهم وبسبعة دراهم ، وفي حلب بيع رطل اللحم بثمانية دراهم [15] اما اسعار القمح فبلغ بدمشق الغرارة بأربع مائة وخمسين درهما وأرتفع سعر الشعير الى مائتي وخمسين درهما ، وفي حلب وحماة بلغ مكوك القمح أربعمائة درهم ورطل الخبز بثلاثة دراهم ثم بلغ خمسة

وبسبب الغلاء ونقص السلع وانعدامها مات كثير من الناس بسبب الجوع ونقص الطعام في حلب وحماة وغيرها من مدن الشام [16]

وتوقفت الأمطار ونعدم سقوطها في بلاد الشام سنة (695هـ/1295م) مما تسبب بظهور القحط لقلت المعروض من السلع وازدادت الاسعار مما تسبب في فزع الناس ، الذي زاد من خوفهم ظهور الوباء الذي قتل الكثير من الناس [17]، ففي شهر ربيع الآخر من تلك السنة ارتفعت الاسعار كثيراً فوصلت غرارة القمح بدمشق إلى مائة وثمانين درهما [18]بعد ان كانت تباع بمائة وخمسين درهما[19] ثم بلغت سعر الغرارة مائتين[20] والرطل اللحم بسبعة دراهم والرطل اللبن بدرهمين والبيض ست بيضات بدرهم [21]

واما في سنة (718هـ/1318م) فكان تساقط الأمطار قليل في مدينة حلب مما سبب بالجفاف وفناء الزرع والغلال فانتشر القحط وارتفعت الأسعار كثيراً [22] وتكرر ذلك بمدينة دمشق وما حولها سنة (719هـ/1319م) مما سبب بظهور القحط والجدب فكان له أثراً كبيراً على حياة الناس لقلت المعروض من الغلال وارتفاع أسعارهاً [23]وكان القحط والجفاف وجدب الأرض قد انتشر في معظم مدن بلاد الشام سنة (723هـ/1323م) واستمر طويلاً حتى جفت العيون والينابيع فكان سبب في انعدام المؤن وارتفاع أسعار المواد الغذائية .[24]

ويذكر النويري في احداث سنة (724هـ/1323م) ان أسعار الغلال زادة كثيراً في مدن بلاد الشام بسبب انعدام المطر، فارتفعت الأسعار لذلك حتى أصبح سعر غرارة القمح بدمشق مائة وعشرون درهماً [25] ، ثم ارتفع

---

[13] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، (بيروت : 1407هـ)، 45/ 123، 124. 49/ 297.

[14] المقريزي ، السلوك ، 1/ 525.

[15] اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت 726هـ/1325م)، ذيل مرآة الزمان ، ط2، دار الكتب الإسلامية ، (القاهرة : 1992م)، 2/ 162. ،

[16] النويري ، شهاب الدين أحمد عبدالوهاب (ت 733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1424هـ / 2004 م)، 30/ 66. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 2/ 162. المقريزي، السلوك ،1/ 541.

[17] الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت 764هـ/1362م)، أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيدة وآخرين، ط1 ، (دار الفكر المعاصر، دار الفكر) ، (بيروت/دمشق : 1998م)،5/ 79.

[18] الذهبي ، تاريخ الإسلام، 52/ 40.

[19] العمري ، مسالك الأبصار ، 27/ 475.

[20] ابن الكثير، البداية والنهاية ، 13/ 405.

[21] الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت : 2000م) ،4/ 253.

[22] العمري، مسالك الابصار، 200/8.

[23] النويري، نهاية الأرب، 228/3.

[24] شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد أبي طالب الأنصاري (ت 727هـ/1327م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ، (بطرسبورغ : 1865م) ، ص85 .

[25] النويري ، نهاية الأرب، 56/33.

سعر الغرارة الى مائتين وعشرين درهماً[26] فعجز الناس عن الشراء ولما اشتد الغلاء أمر السلطان في مصر بنجدة أهل بلاد الشام خاصة دمشق بأن قلل الضرائب وارسل المواد الغذائية اليها ، فانخفضت الاسعار وبلغة غرارة القمح مائة وعشرين درهماً ولولا ذلك لمات الكثر [27] كما أصاب دمشق القحط سنة (725هـ/1324م) فزادت أسعار المحاصيل والغلال حتى بيع رطل الخيار بخمسة عشر درهماً بعد ان كان يباع كل عشرين رطلاً بدرهم [28]

وكانت سنة (748هـ/1347م) مجدبة لقلت الامطار مما تسبب في رفع اسعار السلع في كل من حلب وحماة ودمشق ، وكان الغلاء في مدينة حلب أخفّ من غيرها، وأشدّه كان بدمشق[29] حيث وصلت فيها غرارة القمح إلى ثلاثمائة درهم، [30] وبيع البيض كل خمس بدرهم، ورطل اللحم بخمسة دراهم وأكثر، والزيت الرطل بستة أو سبعة [31]وبسبب ذلك الغلاء والقحط الذي اصاب المدينة رحل الكثير من السكان الى حلب[32] وفي سنة(749هـ/1348م)، حدث الغلاء والقحط في مدينة دمشق وقد اشار الرحالة ابن بطوطة الى ذلك الغلاء اثناء زيارته للمدينة فنقل لنا مشاهداته عنه فقال:" أقمت بدمشق الشام بقية السنة والغلاء شديد والخبز انتهى إلى قيمة سبع بدرهم " ويشير إلى انه بسبب ذلك القحط والغلاء في الأسعار مات بعض أعيان مدينة دمشق، وكثر المساكين والفقراء كما كثر السراق.[33]

كما تعرضت دمشق وحلب سنة (766هـ/1364م) للغلاء أيضاً، بسبب قلة الأمطار وكانت له نتائج سلبية على الناس لدرجة أمرت الدولة بإبطال اخذ الضرائب من الناس [34]وتكرر ذلك في سنة (777هـ/1375م) حيث كان الغلاء في بلاد الشام وكان من اشد ما اصاب البلاد حتى وصف (بالغلاء العظيم) بسبب انعدام تساقط الأمطار فتناقصت لذلك الغلال والمحاصيل بدمشق وحلب وغيرهما من مدن بلاد الشام حتى بيع رطل الخبز في حلب بثلاثة دراهم ثم زاد [35]واستمرت المحنة فيها حتى بيع المكوك من القمح بثلاثمائة درهم ثم زاد حتى بلغ الآلف درهم[36] واما في مدينة دمشق فقد بلغ سعر غرارة القمح بدمشق بخمسمائة درهم بعد أن كانت بخمسين درهم فقط [37]

---

[26] ابن الكثير ، البداية والنهاية ، 14/ 130.

[27] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، ط2 ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت / 1984م) ، 4/ 69.النويري ، نهاية الأرب، 56/33. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ،8/ 113.

[28] ابن الجزري ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت 738هـ/1337م)،حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري) ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ط1 ،المكتبة العصرية ، (بيروت : 1998م)، 64/2. ابن كثير ، البداية والنهاية ،192/14.

[29] أبو الفداء ، المختصر ، 4/ 150، 151. الغزي ، نهر الذهب،3/ 151.

[30] المقريزي، السلوك ،4/ 65.

[31] ابو الفداء، المختصر، 4/ 150، 151. الغزي، نهر الذهب، 3/ 151.

[32] ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت 749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 1996م)، 2/ 337. ابو الفداء، المختصر ، 4/ 150، 151.

[33] ابن بطوطة ،أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي (ت 779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق : عبدالهادي التازي ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، (الرباط : 1997م)، 177/4.

[34] السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن (ت 902هـ/1496م)، الذيل التام على دول الإسلام ، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، ط1، مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع / دار ابن العماد للنشر والتوزيع،(الكويت/ بيروت:1413هـ/1992م)، ص210. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، 8/ 355 ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي(ت 852هـ/1448م)، إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (القاهرة : 1969م)، 76/1.

[35] ابن العراقي ، أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين (ت 826هـ/1422م)، الذيل على العبر في خبر من غبر ، تحقيق : صالح مهدي عباس ، ط1 ، مؤسسة الرسالة، (بيروت : 1989م) ، 402/2.

[36] العسقلاني، إنباء الغمر، 104/1.

[37] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 8/ 431.

وبيعت البيضة الواحدة بثلاثة دراهم [38]فكان ذلك الغلاء اشد ما واجهته بلاد الشام واكثرها ضررا على الناس في ارواحهم واموالهم [39] واستمرت الشدة شدته الى أواخر السنة حتى افتقر كثير من الناس مما اضطرهم الجوع الى أكل الميتة والكلاب والقطط[40] وقيل ان قسم منهم نتيجة الجوع والعوز باعوا أولادهم، ثم زاد من محنتهم بعد ذلك انتشار الوباء قتل الكثير من الناس حتى كان يدفن العشرة والعشرون في قبر بغير غسل ولا صلاة [41]

وقد وصف بدرالدين حسن بن حبيب [42] ذلك الغلاء وعبر عنه بقوله: " استمر غول الغلاء كاشراً عن أنياب النوائب، ناشراً حبائل مصائد المصائب، وزاد إلى أن نقصت الأقوات، وتزايد فيه أمواج الأموات واستمر إلى آخر السنة [43] خارقا للعوائد مبديا أنواع الأزمات والشدائد ولقد جال بحلبة حلب وصال، وقطع من الرفق والرفد أسباب الوصال وعظم أمره، وطال عمره، وأجحف بالناس وخرج عن الحد والقياس، وجعل الغني فقيرا وأهلك من الضعفاء والمساكين خلقا كثيرا"[44] حتى انه نتيجة لذلك الغلاء نصح الناس بعدم الإقامة في مدينة حلب بأبيات منها :

لَا تَقّمْ بِي عَلَى حَلَب الشَّهْباءِ
وَآرْحَلْ فَأَخْضَرَ آلْعَيْشِ أدْهَمِ
كَيْفَ لِي بِالْمَقامِ وَالْخَبْزِ فِيهْا
كُلُّ رَطْلِ بِدَرْهَمْينِ وَدَرْهَمِ[45]

وفي سنة (778هـ/1376م) كان الغلاء شديدا" على حلب وطرابلس لدرجة عدمت الغلال والمؤن فيهما حتى بيع مكوك القمح بستمائة درهم وأكلت الكلاب وغيرها بسبب الجوع وبيع الشيء الذي كان يباع بدرهم بأربعين درهما [46] كما تعرضت مدن بلاد الشام الى الغلاء في سنة (789هـ/1395م) بسبب الجفاف وكان شديد الأثر في دمشق والقدس حتى بيعت الغرارة بإثني عشر ديناراً واكثر، و بيعت جرة الماء بنصف درهم [47] وكذلك سنة (794هـ/1391م) تكرر الغلاء بدمشق[48]

وفي سنة (799هـ/1396م) عم القحط والجفاف والغلاء بعض مدن بلاد الشام وكان أكثره وطأة على مدينة دمشق وما حولها فارتفعت أسعار الغلال وخاصة القمح ومما زاد في المحنة احتكار بعض الأمراء والتجار للمواد الغذائية مما سبب ندرتها لذا خرج الناس إلى مواجهة المحتكرين فحاصر قسم منهم أحد كبار المحتكرين واسمه ابن النشو ناصر الدين محمد فرجموه حتى مات.[49]

- السيول والفيضانات

---

[38] العسقلاني، إنباء الغمر، 107/1.

[39] السخاوي، الذيل التام، ص281 .

[40] ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبدالله [ت 874هـ /1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،(مصر : د.ت)،11/ 136.

[41] العسقلاني، إنباء الغمر، 1/ 105.

[42] الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، لقب ببدرالدين وزين الدين الدمشقي الاصل الحلبي المولد والمنشأ ولد سنة [715هـ/1315م)، برع في الأدب ونظم الشعر توفي بحلب سنة [779هـ/1377م). ينظر : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 260/6.

[43] العسقلاني، إنباء الغمر، 1/ 104. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 8/ 431.

[44] ابن العجمي، أبو ذر موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد [ت 884هـ/ 1479م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب ، ط1، دار القلم، [حلب: 1417هـ)، 1/ 163]3/ 157. العسقلاني ، إنباء الغمر 1/ 104.

[45] ابن العراقي، الذيل على العبر، 402/2. العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر 1/ 104.

[46] العسقلاني، إنباء الغمر، 132/1.

[47] العسقلاني، إنباء الغمر،1/ 349]1/ 335.

[48] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 8/ 568.

[49] العيني، بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد[ت 855هـ/1451م)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : إيمان عمر شكري ، مكتبة مدبولي ، [القاهرة : 2002م)، ص 415. المقريزي، السلوك ، 5/ 398.

مثلما كان لاحتباس الأمطار وقلة المياه أثر كبير في ظهور الأزمات الاقتصادية التي ترتب عليها نتائج سلبية على حياة الناس، كان لكثرة هطول الأمطار واستمرار تساقطه لمدد طويلة سبب في ظهور الأزمات الاقتصادية التي كان لها آثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام من خلال اتلافه للمحاصيل والغلال كون السيول

تكون جارفة للتربة لقوتها ومن تلك السيول، السيل الذي ضرب مدينة القدس سنة (700هـ/1300م) وسبب أضراراً كبيرة في المحاصيل وغيرها[50] كما اصاب بلاد الشام مطر كثير لاسيما مدن بعلبك وحمص وحماة وحلب سنة (716هـ/1316م) فتشكلت السيول الكبيرة فدمرت المحاصيل الزراعية والغلال وأهلكت المواشي مما تسبب في المجاعة وارتفاع الأسعار لدرجة كبيرة.[51]

ودمر السيل الذي ضرب مدينة بعلبك سنة (717هـ/1317م) العديد من الحوانيت والعمارة والطواحين وجرف البساتين وأباد الدواب فكان ذلك سبباً في ظهور أزمة اقتصادية ناتجة عن قلة المؤن والغلال فارتفعت الأسعار في الأسواق وعجز عن شرائها الكثير من الناس [52]وضرب سيل كبير مدينة دمشق وأغرقها ما فيها من الأسواق سنة (718هـ/1318م) مما سبب أزمة اقتصادية [53]

وتكرر السيل على مدينة دمشق في وضح النهار سنة (720هـ/1320م) وكان محصول السفرجل مقطوفاً وموضوعاً تحت الشجر في البساتين مما أدى إلى تدميره مع بقية المحاصيل والأشجار مما سبب ندرة في المواد الغذائية والغلال فارتفعت الأسعار لذلك [54]

وتعرضت مدينة عجلون لسيل كبير دمر الدور والقيساريات والأسواق والطواحين والبساتين فكان مما دمر من الأسواق سوق التجار والصاغة وحوانيت الخبازين، كما أغرق الدواب مما خلف خسائر اقتصادية كبيرة قدرت بخمسمائة الف درهم عن قيمة البضائع والسلع التي كانت فيه وكان ذلك سنة (728هـ/1327م) . [55]

- الثلج والصقيع

شكلت هذه الظاهرة في أثناء حدوثها اضراراً كبيرة على المحاصيل الزراعية نتج عنها حدوث أزمات اقتصادية أضرت بحياة الناس اليومية، من ذلك ما حدث سنة (700هـ/1300م) حيث نزل الثلج بكميات كبيرة جداً مما سبب في غلق الطرق فكان سبباً في صعوبة جلب المواد الغذائية فحدث الغلاء بدمشق بسبب ندرة السلع وارتفعت أسعار الغلال واللحوم حتى بيع الرطل منه بتسعة دراهم [56]

وحدث الشيء نفسه سنة (745هـ/1344م) عندما تساقط الثلج بدمشق بحيث اصبح ارتفاعه نحو ذراعين وتقطعت السبل وهلك الكثير من الدواب والمواشي مما سبب ارتفاع أسعار اللحوم بصورة كبيرة[57]

وللصقيع تأثيره السلبي أيضاً في الحياة الاقتصادية بسبب إتلافه للمحاصيل الزراعية مما يؤدي إلى رفع الأسعار، ففي سنة (799هـ/1396م) أتلف الصقيع المحاصيل الزراعية في مدن بلاد الشام مثل اللوز والجوز

[50] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص85.
[51] العمري، مسالك الابصار ، 178/32.
[52] النويري، نهاية الأرب، 190/32.
[53] النويري، نهاية الأرب ، 233/32.
[54] العمري، مسالك الابصار ، 340/27.
[55] النويري، نهاية الارب، 202/33.
[56] العمري، مسالك الابصار ، 323/27.
[57] السخاوي، ذيل التام، ص68.

والمشمش والكروم وغيرها ، ولم يسلم من ذلك إلا بعض المناطق[58]

- الجراد

كان للجراد دور كبير في حدوث الأزمات الاقتصادية في أية بقعة من الأرض يمر بها ، ويعمل على إتلاف المحاصيل والغلال مما يسبب في انعدامها ، ومن ثم رفع أسعارها فتحدث لذلك الأزمة الاقتصادية، ففي سنة (701هـ/1301م) اجتاح دمشق وما حولها موجة من الجراد لم يشاهد مثل كثرته من قبل، فترك اكثر الغوطة جرداء بلا ورق ، ولا ثمر، فضلاً عن هلاك الأشجار وتيبسها ولم يترك حشيشة خضراء الا اكلها فقلت المحاصيل في الأسواق وارتفعت اسعارها مما خلق ازمة اقتصادية ضارة بالناس في تلك السنة [59]، وفي سنة (724هـ/1323م) اجتاح الجراد مناطق عدة من مدن بلاد الشام واتلف الزرع مما أدى إلى رفع أسعار الغلال إذ وصل ثمن غرارة القمح بدمشق الى مئتي درهم [60]

ونتشر الجراد في سنة (743هـ/1342م) في حلب ودمشق والقدس وغزة، فأوقع ضررا كبيراً بالمحاصيل الزراعية وأفسد الثمار مما زاد في الاسعار زيادة كبيرة واصاب الناس بسبب ذلك الجوع والغلاء ، وقد وصفه المقريزي : بأنه "جراد عظيم سد الأفق ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها" [61] فأكل الناس الشعير، وبلغت الغرارة بدمشق بمئتين درهم [62] وفي سنة (765هـ/1363م) غلت الأسعار بدمشق لكثرة غزو الجراد لها وإتلافه الزرع [63] وفي سنة (766هـ/1364م) اجتاح الجراد معظم مدن بلاد الشام وإتلف المحاصيل الزراعية والأشجار وسبب غلاءً كبيراً حتى بلغت غرارة القمح بدمشق مائة وثمانون درهماً واكثر [64]

ثانياً: اثر العوامل البشرية في ظهور الأزمات الاقتصادية وأثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام.

كانت للعوامل البشرية اثرها البالغ في ظهور الأزمات الاقتصادية والتي كان لها انعكاساً سلباً على مجمل الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ، وقد تمثلت تلك الازمات الاقتصادية بظهور الفوضى السياسية التي ترافق الحروب من حصار او نهب او قتل واثرها على عامة الناس ، وفرض الضرائب وتزييف النقود والتلاعب بأوزانها أو إبطال التعامل بها أو ما يسببه الانسان من حرائق عن طريق ارتكابه الأخطاء ويمكن الإشارة إلى تلك العوامل ودورها السلبي في مجتمع بلاد الشام على النحو الآتي:

- الأوضاع السياسية :

كانت للأوضاع السياسية في بلاد الشام لها تأثيراً سلبياً كبيراً في تذبذب الأسعار وقلة المواد المعروضة في الأسواق مما نتج عنها أزمة اقتصادية انعكست اثارها السلبية على مجمل الحياة الاجتماعية في بلاد الشام وفي ما يأتي نستعرض أبرز تلك الاوضاع

---

[58] حمد , فيصل عبدالله، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول [648-784هـ/1250-1381م) , والثاني [784-922هـ/1381-1517م), مجلة المنار , المجلد [14) , العدد [2) , [المملكة العربية السعودية : 2008م)، ص317.

[59] العمري، مسالك الابصار، 325/27، ابن سباط ، حمزة بن أحمد بن عمر [ت 926هـ/1920م)، تاريخ ابن سباط ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، ط1، مطبعة جروس برس ،(لبنان : 1993م)، 576/2.

[60] ابن كثير، البداية والنهاية، 117/14.

[61] المقريزي، السلوك، 3/ 379.

[62] العمري، مسالك الأبصار،27/ 564.

[63] الشلي , فيصل، بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية ,(دولة الجراكسة البرجية) 1381-1517م, ط1 , دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع , (دمشق : 2008م)، ص157.

[64] لابيدوس , إيرمارفين ، مدن الشام في العصر المملوكي , ترجمة : سهيل زكار , دار حسان للطباعة والنشر , ط1 , (دمشق : 1985م)، ص92.

السياسية السلبية واثارها على الحياة الاجتماعية.

ففي سنة (511هـ/1117م) كانت مدينة حلب في غلاء كبير وارتفاع في اسعار السلع وذلك لان المحصول الزراعي من قمح وغيره تعرض الى موجة هواء حارة رطبة اتلفته قبل حصاده بمدة قصيرة ، وزاد من المحنة و شدتها الاعتداءات التي قام بها الصليبيون المتواجدين في انطاكية[65] فكان ذلك سبباً في هروب الفلاحيين من ارضيهم ، كما كثر تعرضهم للقوافل التجارية التي كانت تخرج من حلب إلى دمشق او القوافل التي تقصد حلب ، حيث عمل هؤلاء على قطع الطرق ونهب بضائع وأموال القوافل، واخذ الرجال والنساء اسرى عندهم يفتدون بهم بالمال، وقوي طمع هؤلاء في حلب لعدم النجد وضعفها فانتشار الغلاء بها بسبب انقطاع دخول السلع عن أهل حلب ولم يبقى لهم من المعونة إلا القليل، فارتفعت الاسعار واصاب البلد الغلاء حتى وصل سعر مكوك الحنطة بدينار وعجز الناس عن الشراء فنتشر الجوع بين الناس[66]

كما ان مدينة دمشق تعرضت سنة (596هـ/1199م) لحصار من قبل الملك الظاهر[67] الذي كان يطمح بالسيطرة عليها مما تسبب في انعدام الأقوات وندرة المعروض من السلع فانتشر الغلاء بدمشق وزاد البلاء مما كان له اثره السلبي على حياة عامة الناس لنشره الجوع والخوف بيهم [68]

وفي سنة (643هـ/1245م) حاصرت الخوارزمية [69] مدينة دمشق وكان قصدهم من ذلك أن يحصلوا على الاموال تكفيهم بعد هزيمتهم امام المغول [70] " فاشتد الخطب وأحرقت الحواضر ورمية المدينة بالمجانيق وتعب الدمشقيون ، وذاقوا من الخوف والقحط والوباء ما لا يعبر عنه ودام الحصار خمسة أشهر" [71] أحرقت خلاله المحاصيل [72] وخربت العمارة وأحرقت الكثير من الأسواق ، مما تسبب في اشتداد الغلاء وظهر المرض [73]

---

[65][[انطاكية: مدينة كبيرة تقع شمال حلب على البحر الرومي (المتوسط)، المسافة بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة، عرف عنها الجمال وطيب الهواء وعذوبة الماء، لها ميناء ترسو فيه المراكب المحملة بمختلف البضائع ،كانت قاعدة انطلاق الحملات الصليبية على بلاد الشام . ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، ط2، (بيروت: 1995م)،1/ 268، 1/ 267. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت : 1960م)، ص150. البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل (ت 739هـ /1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط1، (بيروت:1412هـ)،1/ 125،124.

[66][[ابن العديم، زبدة الحلب ، ص268.

[67][[الملك الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، سلطان حلب ولد بمصر في سنة (568هـ/1172م) عرف عنه الدهاء والفطنة والصلابة كان كريما معطاء، ويكرم الرسل والشعراء ، و كان مهيبا سائسا فطنا، وشهد معظم غزوات والده تملك حلب ثلاثين سنة، .كانت وفاته بقلعة حلب في جمادى الآخرة .سنة (613هـ/1216م) عن خمس وأربعين سنة.. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، 6/ 217-218. ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، 7/ 102. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط9 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : 1413هـ) ،15/ 421.

[68][[الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 42/ 26. 45/ 123، 124. اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (768هـ/1366م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط1 ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1417 هـ/ 1997م)، 4/ 42.

[69][[الخوارزمية : هم بقايا جيش السلطان جلال الدين خوارزم شاه آخر ملوك الدولة الخوارزمية التي أسسها في بلاد ما وراء النهر وكانت تظم مدن بخارى وسمرقند وغيرها والتي اجتاحها المغول بقيادة جنكيزخان سنة 639هـ/1241م) فزالت دولتهم، وتمزقوا، فتوجهوا نحو الغرب بتجاه بلاد الشام وغيرها وكانت اعمالهم تقارن بأعمال اللصوصية من سرقة وقتل وسبي حتى انهم وصفو، بكونهم كالتتر في الغدر والمكر والقتل والنهب . ينظر: الذهبي ، تاريخ الإسلام، 46/ 44. 47/ 30. ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، 6/ 321. ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/ 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، (بيروت :1418هـ/1997م)، ص 50.

[70][[ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 2/ 170.

[71][[الذهبي ، العبر ، 3/ 244. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي 2/ 170.

[72][[اليافعي ، مرآة الجنان ، 4/ 82.

[73][] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 47/ 18.

بالمدينة نتيجة ذلك الحصار الطويل حتى ببيعة غرارة القمح بألف وست مائة درهم فعجز الناس عن الشراء[74] وأبيع التبن بثمن باهض [75]، وتدنت الأملاك والأمتعة حتى اصبحت اسعارها بالهوان بسبب عدم الشراء بسبب حاجة الناس[76] فأكلت الناس الجيف وتفاقمت الفاحشة مع نهب الخوارزمية لكل شيء [77]

وفي سنة (658هـ/1258م) استغل نائب السلطان المظفر قطز[78]على دمشق الامير علم الدين سنجر الحلبي [79] مقتل السلطان قطز ، فاعلن نفسه سلطاً وتلقب بالملك المجاهد، وخطب له بدمشق في سادس ذي الحجة سنة (658هـ/1258م) ، وأمر بضرب الدراهم[80] لذا جهز الظاهر بيبرس [81] العسكر لقتال علم الدين سنجر الحلبي ، فوصلوا إلى دمشق في ثالث عشر من شهر صفر سنة(659هـ/1260م)، فحوصرت دمشق [82]

وكان ذلك سبباً في عزلت دمشق فارتفعت لذلك الأسعار وغلت الاثمان فأصبح سعر الخبز رطل بدرهمين، ووقية الجبن بدرهم ونصف، وأما اللحم فكاد يعدم وبلغ الرطل بخمسة عشر درهما[83]

وتعرضت مدينة حلب لخطر بقايا المغول الفارين من موقعة عين جالوت [84] والذين كانوا قد اجتمعوا بحران [85] سنة (659هـ/1260م)، وعانوا لشدة الغلاء عندهم لذا كانوا يغيرون على مدينة حلب ، فأخرجوا من فيها من الرجال والنساء ولم يبق إلا من اختفى خوفا على نفسه ، ثم أذنوا لهم في العود إلى البلد وأحاطوا بها ولم يمكنوا أحدا من الخروج منها ولا من الدخول إليها أربعة أشهر[86] مما سبب ذلك ارتفاع كبير في

---

[74] [] الذهبي ، العبر ، 3/ 244. اليافعي ، مرآة الجنان، 4/ 82.

[75] [] الذهبي ، تاريخ الإسلام، 47/ 18.

[76] [] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، 6/ 352.

[77] [] الذهبي ، العبر ، 3/ 244. اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 82.

[78] [] قطز: هو ثالث السلطين المماليك كان مملوكاً للمعز أيبك التركماني, تولى السلطة سنة (657هـ/ 1258م) ولم يدم حكمه سوى أحد عشر شهراً إذ قتل على يد الظاهر بيبرس. ينظر: بيبرس المنصوري (725هـ/1324م)، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة (702هـ/ 1302م) ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، (القاهرة : 1413هـ/1993م) ، ص11. ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, 7/ 72. القرماني ، أحمد يوسف (ت 1019هـ/1610م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تحقيق : أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، ط1، (بيروت : 1992م) , 2/ 269, 270.

[79] [] الأمير علم الدين سنجر الحلبي كان نائب السلطان قطز على دمشق فلما قتل وتسلطن الظاهر بيبرس دعا لنفسه فبويع بالحكم ولقب نفسه بالملك المجاهد ونفرد بدمشق ،وعندما قاتله الظاهر بيبرس هرب سنجر الحلبي ، من دمشق سنة(659هـ/1260م) إلى بعلبك ، ثم دخل في خدمة الظاهر فسجنه مدة كانت وفاته سنة (793هـ/1390م)، وقد بلغ الثمانين. ينظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ،19/ 394. العمري، مسالك الأبصار ، 27/ 392.

[80] []الذهبي ، تاريخ الإسلام ،48/ 66.

[81] [] بيبرس: هو أعظم المماليك وأشدهم بأساً, كان عبدا مملوكاً اشتراه السلطان الصالح أيوب، واثبت جدارة في الحرب فارتقى في المناصب, وكان له دور كبير في موقعة عين جالوت فوعده قطز بنيابة حلب غير أن الأخير لم يوف بوعده ، فحقد عليه بيبرس ودبر قتله وتولى السلطنة فكان بحق مؤسس الدولة المملوكية وكانت مدة طويلة امتدة من سنة (658-676هـ/ 1258-1277م). ينظر: بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار ،ص12. الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ/1362م)، فوات الوفيات ، تحقيق : علي محمد بن يعوض الله و عادل أحمد عبدالموجود ، ط1، دار الكتب العلمية ، (بيروت : 2000م) , 1/ 251. القرماني , أخبار الدول, 270/2. موير , السيروليم، تاريخ دولة المماليك في مصر , ترجمة , محمود عابدين وسليم حسن , ط1 , مكتبة مدبولي , (القاهرة : 1415هـ /1995م) , ص47.

[82] [] ابن كثير ، البداية والنهاية، 13/ 394. العمري، مسالك الأبصار ، 27/ 392.

[83] [] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 48/ 66.

[84] [] معركة عين جالوت: معركة فاصلة في تاريخ العرب والمسلمين كتب النصر فيها للمسلمين على المغول بقيادة السلطان قطز الذي أعدا الجيش الاسلامي في مصر وخرج للتصدي للخطر المغولي، ولما بلغ ذلك كتبغا وهو نائب هولاكو على بلاد الشام، جمع من في الشام من المغول وسار للقاء المسلمين فالتقى الطرفان في عين جالوت من أرض بيسان في فلسطين فتمكن قطزمن التصدي للمغول وهزيمتهم في الخامس والعشرين من رمضان عام (658 هـ/0 126م)،فكانت هزيمة كبيرة للمغول قتل منهم عدد كبير من بين قتلاهم كتبغا، وهرب من سلم منهم إلى الشرق، فتبعتهم المسلمون مستغلين هزيمة المغول والنصر الكبير الذي تحقق، بعد ان كان المسلمون قد يئسوا من تحقيق النصرة عليهم، لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه، ولا عسكراً إلا هزموه، فابتهجت الناس لذلك. ينظر: أبو الفداء ، المختصر ، 3/ 205. الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 48/ 61. ابن كثير ، البداية والنهاية ،13/ 255.

[85] [] حران: وهي مدينة مشهورة من ارض الجزيرة الفراتية تعد مركز ديار مضر، وهي على طريق بين الموصل وبلاد الشام ، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان،كانت منازل الصابئة وهم الحرانيون بها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 235. البغدادي، مراصد الاطلاع ،1/ 389.

[86] [] اليونيني ، 2/ 90،89. الذهبي، تاريخ الإسلام، 48/ 72.

الأسعار ، فيذكر النويري (773هـ/1325م): " قلت الأقوات والسلع حتى بلغ " رطل اللحم سبعة عشر درهما، ورطل السمك ثلاثين، ورطل اللبن خمسة عشر، ورطل الخل ثلاثين، ورطل الأرز عشرين، ورطل الحب رمان ثلاثين، ورطل السكر خمسين، والحلوى كذلك، ورطل العسل ثلاثين، ورطل الشراب ستين، والجدى الرضيع بأربعين درهما، والدجاجة بخمسة دراهم، والبيضة بدرهم ونصف، والبصلة بنصف درهم، وباقة البقل بدرهم، والبطيخة بأربعين درهما، والتفاحة بخمسة دراهم، ولم يذكر سعر الخبز والقمح، ولعل ذلك لعدمه" [87] وباقة البصل درهما ونتيجة لهذا الغلاء وشحة السلع أكلت الناس الميتة من شدة الغلاء ونتشار الجوع بين الناس[88]

وفي سنة(660هـ/1261م) انتشر غلاء شديد في بلاد الشام وذلك بعد ورود الاخبار في النصف من شهر شعبان بقدوم المغول، فخاف الناس كثيراً وبداء الناس يتجهزوا للرحيل من دمشق إلى مصر، فحصل بسبب

ذلك طلب كبير من قبل الناس للحصول على المونة من غذاء والسلع اعداداً للرحلة مما سبب ارتفاع كبير في الاسعار، فبيع القمح الغرارة بأربعمائة درهم والشعير بمائتين وخمسين درهم، واللحم الرطل بستة أو سبعة دراهم [89] وتكررت تلك المخاوف من قدوم المغول في سنة (695هـ/1295م)، مما سبب ذلك بظهور الغلاء نتيجة ارتفاع اسعار السلع والمواد الغذائية المختلفة فوصل سعر غرارة القمح بدمشق إلى مائة وثمانين درهما فعجز الكثير من الناس عن الشراء [90]

وتعرضت بلاد الشام سنة (698هـ/1298م) لخطر المغول مرة اخرى فقد اجتاحوا الأغوار[91] والمناطق المحيطة بها فعاثوا في الأرض فسادا، فنهبوا البلاد وخربوا القرى وقتلوا الناس ، فارتفعت الأسعار وقلت السلع ونتشر الغلاء حتى وصل سعر غرارة القمح أربعمائة درهم، ويلغ رطل اللحم بنحو عشرة دراهم ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف، والجبن الأوقية بدرهم، والبيض كل خمسة بدرهم [92] فكان من الطبيعي نتيجة تلك المحنة ان يعجز الكثير من الناس عن الاشراء السلع لقت المعروض وارتفاع ثمنه وان تنتشر مظاهر الفقر بينهم.

وفي اول سنة (699هـ/1299م) قصد غازان [93] بلاد الشام ، فخرج السلطان الملك الناصر [94] إلى دمشق لمواجهته، ، والتقى الجمعان قرب حمص ، فكان الانتصار لغازان، وتفرق الجيش المملوكي فنسحب الملك

---

87 [] النويري ، نهاية الأرب ،30/ 43.

88[] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 2/ 89، 90.

89 [] ابن كثير ، البداية والنهاية ، 13/ 272.

90 [] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 52/ 40.

91 [] الاغوار: وهي الارض المنخفضة الواقعة بين مدينة القدس ودمشق، (يقصد به غور الأردن بالشام) ، طوله مسيرة ثلاثة أيام، وعرضه نحو يوم، يجري خلاله نهر الأردن على طرفه بحيرة طبرية وهو وخم شديد الحر أكثر ما يزرع فيه قصب السكر. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 4/ 217، البغدادي، مراصد الاطلاع ،2/ 1004.

92[] ابن كثير ، البداية والنهاية،14/ 12.

93[] السلطان معز الدين غازان محمود بن أرغون بن ابغا بن هلاكو بن تولى بن جنكزخان ويقول قازان بالقاف عوض الغين تولى الحكم سنة (693هـ/1293م)، وحسن له نائبه نوروز الإسلام فأسلم في سنة (694هـ /1294) وكان يبلغ من العمر بضع وعشرون سنة فنثر الذهب والفضة على الناس ، امتد سلطانه الى خراسان وفارس والروم وآذربيجان والجزيرة ودخل دمشق وخطب له على المنبر كانت وفاته بشهر شوال سنة(703هـ/1303م) بقزوين. ينظر:ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي(ت 852هـ/1448م)،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدر أباد ، (الهند : 1972م)،4/248-251.ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،8/ 18.

94[] الملك الناصر: هو السلطان الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون , ولد بالقاهرة سنة (684 هـ / 1285 م) ولي السلطنة وعمره تسع سنين ثم خلع وأعيد ثانيةً ولم يزل قائماً على سرير ملكه حتى مرض ومات على فراشه في ليلة الخميس العشرين من ذي الحجة سنة (741 هـ / 1340 م) ودفن داخل القبة التي بين القصرين , وكان عهده أطول عهود سلاطين المماليك إذ حكم ثلاثاً وأربعين سنة. ينظر: ابن سباط ، تاريخ ابن سباط , 2 / 667 . القرماني ، أخبار الدول, 2 / 276 . ابن العماد الحنبلي , شذرات الذهب , 8 / 233.

الناصر نحو بعلبك، ، فتم نهب أمتعتهم وأموالهم، وعندما وصل الخبر إلى مدينة دمشق بهزيمة السلطان حار الناس وخافوا كثيراً [95]وعندما دخل دمشق عمل جنده اعمال السبي والنهب وتعذيب للناس لأجل تحصيل المال فأخذو وصادروا الكثير وقتل من التعذيب والجوع الكثير[96] فتذكر المصادر " وذهب للناس من الأهل والمال والمواشي ما لا يحصى، وصودروا مصادرة عظيمة، ونهب ما حول القلعة لأجل حصارها، ودام الحصار أياما عديدة، وأخذت الدواب جميعها، واشتد العذاب، في المصادرة مع الغلاء والجوع وأنواع الهم والفزع، " فقيل: إن الذي وصل إلى ديوان غازان من البلد ثلاثة آلاف ألف وست مائة سوى ما أخذ في البرطيل ، وكان إذا ألزم التاجر بألف درهم ألزمه عليها فوق ذلك ترسيماً يأخذه التتار" وستمر ذلك حتى رحل غازان عن دمشق في ثاني عشر جمادى الأولى من السنة نفسها [97] فكانت معانة الناس من ذلك الغزو كبيرة.

لذلك عندما سمع أهل دمشق بقدوم حملة غازان مرة ثانية الى بلاد الشام سنة (700هـ/1300م) هرب معظمهم الى البلدان المجاورة خوفاً من أفعالهم الوحشية التي كانت أخبارها تسبق قدومهم ، فرافق ذلك الخوف ارتفاع في الأسعار حتى وصل غرارة القمح الى ثلاثمائة درهم ورطل اللحم بتسعة دراهم [98] وبيع الرأسان من الغنم بخمسمائة درهم[99] واستمر ذلك حتى زال الخطر عن بلاد الشام .

وفي سنة (743هـ/1342م) حاصر المماليك مدينة الكرك فأصاب المدينة الغلاء حتى وصل الخبز الرطل بدرهمين، واستمر ذلك حتى نهاية السنة ووصل أثرها الى مدينة دمشق أيضاً ، إذ ارتفعت الأسعار بها وأكل الناس الشعير وبلغت غرارة القمح مائتي درهم [100]

- الضرائب والمكوس

تعرف الضرائب بأنها فريضة الزامية يلتزم الممول بأدائها الى الدولة تبعا لمقدرته على الدفع بغض النظرعن المنافع التي تعود اليه من وراء الخدمات التي تقدمها السلطة العامة[101] وتعرف ايضاً أنها اقتطاع نقدي يدفعه الافراد جبرا للدولة دون مقابل وبصفة نهائية[102]

اما المكس لغةً: المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، والمكس: انتقاص الثمن في البيع ، ومنه أخذ المكاس لأنه يستنقصه [103]

اما المكس اصطلاحاً: كلمة تدل على جبي مال وانتقاص من الشيء ، وهي الضريبة و كل ما يحصل من الأموال لديوان السلطان، أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفي الدولة خارجاً عن الخراج الشرعي[104]

---

[95][اليافعي ، مرآة الجنان ، 4/ 172. الذهبي ، العبر ، 3/ 394.

[96][] ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، 4/ 250.

[97][] اليافعي ، مرآة الجنان، 4/ 172. الذهبي، العبر ، 3/ 394.

[98][] النويري، نهاية الأرب، 259/31.

[99][99] الذهبي ، تاريخ الإسلام، 52/ 104.

[100][] العمري، مسالك الأبصار ، 27/ 563. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 8/ 239. ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر، 4/ 138.

[101][] المزيني، احمد عبدالعزيز، الموارد المالية في الاسلام ، ذات السلاسل،(الكويت:1994م)،ط1، ص 18.

[102][1.2] خريس ، ابراهيم محمد ، الضرائب في النظام المالي الاسلامي دراسة مقارنة، دار الايام ،(الاردن:2013، ص 49.

[103][ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، (بيروت ، 1990)، ط1، .6/ 220. الزبيدي، محب الدين محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/1790م).مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان،(بيروت: 1415 / 1995)، ص296.

[104][القلقشندي ،أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله (ت 821هـ /1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، تحقيق : د.يوسف علي طويل دار الفكر ،(دمشق:1987م)، ط3،1/ 468. المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت

لم تخضع الضرائب لأية قاعدة ولا يمكن حصرها لتعدد الجهات التي تفرضها وتنوع أساليبها وأنواعها حتى لم يترك شيء الا وخضع للضريبة بل الأسوأ من ذلك كانت الضرائب تجبى بالقسوة ولاسيما في مواسم الجدب والقحط لسد حاجاتهم المختلفة غير سائلين عن الناس وما يمرون به من ضائقة، ووصف المقريزي حال عامة الناس ومعناتهم لكثرة تلك الضرائب والمكوس بقوله :(وكثر ضجيجهم، وشكواهم فلم يسمع، ووقف الحال فيما ينفق في دار السلطان، وفيما يصرف إلى عياله، وفيما يقتات به أولاده، وما يغصب من أربابه، وأفضى هذا إلى غلاء الأسعار، فإنّ المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية)[105] ومن تلك الضرائب التي تم فرضها وكانت لها اثارها السلبية الكبيرة على الناس وارباب العقارات والأموال، لتجهيز الفرسان وخيولهم إذ سميت بضرائب(مقرر الخيالة) وكان ذلك سنة (700هـ/1300م) وقدر على كل منهم بحسب قدرته وتم جمع مئة الف درهم اخذت بالقوة في اغلبها، فضج الناس لذلك وارتفعت الاسعار. [106]

وفي سنة (721هـ/1321م) زادت السلطات المملوكية الضرائب على الناس وعجز اغلبهم عن دفعها، كما فرضت على اهل الأسواق وكبار اهل البلد ، وكان مقدارها ما يساوي تجهيز الف وخمسمئة فارس بكل عدتهم ومؤنهم ، في حين كانت قبل ذلك تقدر لتجهيز مئتين من الفرسان فقط، فرفض الناس الدفع وأغلقوا الأسواق لمدة يومين اضراباً ضد قرار السلطة وخرجوا يعلنون رفضهم لذلك [107]مما تسبب في شل حركة البيع والتجارة وارتفاع اسعار السلع الى حد عجز الناس عن شرائها ، وفي سنة (737هـ/1336م) اجبرت السلطات المملوكية التجار في دمشق على شراء الغنم والماشية بأسعار تبلغ ضعفي السعر الحقيقي، وكذلك بيع الفول والقمح وبأسعار عالية جداً للتجار وتكرر ذلك في مرات عدة [108]فكان الناس في شدة لذلك.

- التزييف ونقص اوزان النقود

ساهمت عملية تزييف العملة ونقص اوزان النقود في ظهور الأزمات الاقتصادية التي كانت لها اثاراً سلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام تمثل في تذبذب اسعار السلع وعدم استقرارها فانعكس تأثيرها على الأسواق وحياة الناس بصورة عامة.

ففي سنة (720هـ/1320م) أصدرت الدولة المملوكية قراراً بإبطال التعامل بالفلوس القديمة عداً واستعيض عن ذلك بالوزن فأصبح كل رطل من الفلوس بـ(3,12) دراهم وذلك بسبب قلة قيمتها وكثرتها في أيدي الناس وتوقف التجار وأصحاب الأسواق عن التعامل بها ، وكان سبب ذلك كله أن الزغلية[109] ضربوها وخففوا أوزانها، ثم صدر مرسوم آخر بإبطال الفلوس القديمة وإصدار فلوس جديدة اكثر قيمة من السابقة فنشطت التجارة وزالت الأزمة التي سببتها [110]

وفي سنة (730هـ/1329م) حصل بدمشق اضطراب اقتصادي بسبب نقصان اوزان

845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي ، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1418 هـ)، ط1،1/ 103 و 2/ 121 . الذهبي ، تاريخ الإسلام ،39/ 28.

[105] المقريزي، المواعظ والاعتبار ، 197/1.

[106] النويري، نهاية الأرب، 256/31.

[107] العمري، مسالك الابصار ، 32/136،137.

[108] لابيدوس , مدن الشام ، ص96.

[109] الزغلية: تسمية تطلق على مزيفي النقود جاءت من كلمة غل: أي غش. النويري، نهاية الارب، 5/33.

[110] النويري، نهاية الارب، 255/2، 5/33.

النقود ولا سيما الدنانير الذهبية المضروبة بدمشق، فلما علم الناس بها تم وزنها عند الصيارفة وبحضور صاحب دار الضرب فكانت كل مئة دينار ذهب تنقص من قيمتها الحقيقية خمسة عشرا ديناراً ذهبياً، فلما حققوا مع ضامن دار الضرب بدمشق وجد أن ذلك مدبرا من قبله بغية الربح والإفادة فتم حبسه مع من تواطأ معه من العمال ، وكان لهذه الفعلة اثره السيئ بسبب انتشار تلك الدنانير في مختلف المناطق شرقاً وغرباً ووصولها الى القاهرة ولم يستطع احد ان يعالجها بسبب ذلك الانتشار فاضطرب الدينار الذهبي بالأسواق وقل سعره بالصرف من (28) الى(21) درهم واقل من ذلك فكان لذلك الفعل خسائر كبيرة وفقدان ثقة الناس بالعملة.[111]

وفي سنة (745هـ/1344م) انتشر الغش بالنقود المتعامل بها ولاسيما الفلوس، وسبب ذلك ان الناس يشترون النحاس المكسر، الرطل بدرهمين ويذهبون لضربه فلوساً خفيفة وزاد الأمر سوءاً عندما مزجوا الرصاص بالنحاس فانتشر الغش وفقدت بلاد الشام ودمشق الفلوس الصحيحة لكثرة عمليات الغش فكان لذلك اثره في التعامل الاقتصادي في الأسواق ولم تتوقف تلك العمليات حتى تدخلت الدولة وضربت على أيدي هؤلاء جميعاً.[112]

- الحرائق

شكلت الحرائق أحد الأسباب التي كانت وراء ظهور الأزمات الاقتصادية بسبب ما تتركه من خسائر كبيرة وإتلاف البضائع والمنتوجات بمختلف أنواعها مما يسبب ذلك ظهور أزمات اقتصادية التي كانت لها اثاراً سلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام وقد تمثل ذلك بفقدان تلك البضائع من الأسواق وارتفاع أسعارها ، ومن ذلك الحريق الكبير الذي أصاب أسواق دمشق سنة (728هـ/1327م) وأحرق سوق الفرائين وامتد إلى القيساريات والحوانيت والأسواق المجاورة وعجز الناس عن إخماده ليستمر يومين متتاليين أفقدت الناس الكثير من الأموال والبضائع المختلفة.[113]

ووقع حريق بمدينة حماة سنة (735هـ/1334م) أحرق عدداً كبيراً من الحوانيت والمحال التجارية وأضر الناس كثيراً وقدرت خسائره بنحو(مليون درهم) وارتفعت الأسعار بسببه [114]وفي سنة (738هـ/1337م) وقع حريق كبير في مدينة دمشق أحرق معظم أسواقها التجارية وكان سببه إهمال صاحب حانوت لقلي الطعام، بتركه النار مشتعلة دون علمه فانتقلت إلى المحال المجاورة وكانت قيمة خسائر ذلك الحريق تقدر(بخمسين الف درهم) .[115]

كما تكرر في دمشق أيضاً حريق مماثل سنة (740هـ/1339م) قرب الجامع الكبير ، وقد شوهدت السنة النار من مسافات بعيدة ، فأحرق أسواق الخيم والقسي والرماح وانتقل إلى القيساريات واتلف أموال الناس ولم يخمد إلا بالمطر الذي سقط على المدينة، فكانت خسائره كبيرة جداً [116]، وفي دمشق أيضاً وقع حريق آخر سنة (757هـ/1356م) أحرق القيساريات والمحال التجارية والأسواق

---

[111] النويري، نهابة الارب، 237/33. ابن سباط ، تاريخ ابن سباط، 650/2.

[112] السخاوي ، الذيل التام ، ص70.

[113] النويري، نهاية الأرب، 201/33. العمري، مسالك الابصار ، 349/27.

[114] ابن الجزري، حوادث الزمان، 772/3. العمري، مسالك الابصار ، 354/27.

[115] ابن الجزري، حوادث الزمان، 1014/3،1034.

[116] العمري، مسالك الابصار ، 358/12،362، 358/27.

وكانت خسائره كبيرة جداً [117]، وتكرر الحريق بدمشق أيضاً سنة (794هـ/1391 م) ولقسوته سمي بالحريق العظيم إذ أحرق سوق الوراقين والجلود والنحاسين والصاغة وأتلفت بسببه أموال كبيرة جداً [118]، وفي سنة (800هـ/1397م) تكرر الحريق فيها، وشمل أسواق القواسين والسيافين والصاغة والنحاسين والبزازين وأتلف الأموال الكثيرة [119]

الخاتمة:

- سببت الأزمات الاقتصادية اثاراً سلبية على الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في مدة موضوع البحث حيث كان تأثيرها واضح في ارتفاع أسعار المواد الغذائية وظهور المجاعة.
- ساهمت الكوارث الطبيعية في تفاقم الازمات الاقتصادية مما انعكس تأثيرها على مجمل الحياة الاجتماعية في بلاد الشام وكانت ابرز تلك الكوارث قلت تساقط الامطار ونتشار القحط والجفاف وغيرها من الكوارث الطبيعية التي تم ذكرها في البحث.
- الكوارث الطبيعية أثرت بمجملها في الحياة الاجتماعية من خلال أتلفت الكثير من المحاصيل الزراعية وقتل العديد من الحيوانات والذي أدّى بدوره إلى تدهور الحياة الاقتصادية في البلاد .
- اثقلت تلك الازمات الاقتصادية كاهل عوام الناس وزادة في محنة معاشهم في بلاد الشام ومما اجبرت قسم منهم على الرحل عن بلاده المنكوبة إلى المناطق الخصبة مع ارتفاع الأسعار في الأسواق.
- كان فرض المكوس والضرائب التي كانت تجبى بأوقات مختلفة ولم تكن ثابتة ، لها عظيم الاثر على الناس وكانت سبباً في تدهور معاشهم وارزاقهم من خلال رفع الأسعار في الأسواق وأثقال كاهل التجار والباعة والذي انعكس بدوره على حياة عامة الناس في توفير متطلبات معاشهم، مما كان يدفع الناس الى التذمر وبخاصة انها كانت تجبى بطرق تعسفية ومهينة.
- التلاعب بعملة البلاد وضرب النقود الرديئة والمزيفة بدلاً عن النقود الذهبية والفضية الخالصة، كان له اثره في اختلال قيمة النقد المتداول في الأسواق وحدث التضخم وارتفعت الأسعار مما ينعكس بصورة سلبية على معاش الناس وحياتهم.
- *كانت شدة الازمات الاقتصادية وانعدام المؤن والسلع وغلاء ما وجد منها سبباً في جعل البعض يلجأ الى أكل الكلاب والقطط والميتة للبقاء على قيد الحياة، ومنهم من باع أولاده بغية الحصول على الغذاء، كذلك لجأ بعضهم إلى السرقة والقيام بأعمال النهب والسلب.

[117] السخاوي، الذيل التام، ص 150.

[118] العيني ، السلطان برقوق ،ص355.

[119] ابن شاهين ، خليل بن شاهين الظاهري (ت 873هـ/1468م)، نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق: عبد السلام تدمري ، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،(بيروت :1422هـ/2002م) ،221/2.